كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

جامعة القصيم Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة College of Science and Arts in Unaizah

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

آثاره العلمية والدعوية

الجزء الرابع

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

(1)
موقف الشيخ العلامة السعدي من الإعجاز العلمي
من خلال كتابه الدلائل القرآنية
أ.د. أحمد بن عبد الله الباتلي

الرعاة

مصرف الإنماء
alinma bank

القاضي

سبكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

موقف الشيخ العلاّمة السعدي
من الإعجاز العلمي
من خلال كتابه الدلائل القرآنية

أ.د. أحمد بن عبد الله الباتلي

أستاذ السنة وعلومها بكلية أصول الدين بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته وعلى جميع من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله -عزَّ وجلّ-، أنزله لهداية الناس، وتنظيم حياتهم، وبيان أمور دينهم ودنياهم، وهو أعظم معجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ليدل على صدق نبوّته، ورسالته التي بعث من أجلها إلى الناس وهي التوحيد لله تعالى، وقد تحدى الله به الناس بفصاحتهم وبلاغهم وقدراتهم العلمية والعقلية، وأثبت عجزهم عن الإتيان بمثله، قال تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨]

والقرآن الكريم أشار بالآيات الكونية والنفسية إلى عددٍ من حقائق الكون وظواهره التي لم يتمكن العلم التجريبي من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من نزول القرآن الكريم، ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدرا غير الله الخالق سبحانه[1].

وقد بذل بعض العلماء -قديما وحديثا- قصارى جهدهم في استخراج هذا النوع من الإعجاز، من القرآن، وبيانه للناس، وتحققوا من وجود الصلة والتوافق التام بين ما ورد في القرآن من إشارات علمية وبين حقائق العلم الحديث، وأطلقوا عليه الإعجاز العلمي، لمبررات كثيرة وأهمها:

١. إن القران الكريم أنزل إلينا لنفهمه، والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها فهما صحيحا في إطار اللغة وحدها، وذلك لشمول الدلالة القرآنية ولكلية المعرفة

(١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص: ٨٦).

التي لا تتجزأ.

٢. إن الدعوة بالإعجاز العلمي للقران الكريم أصبحت هي الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا - عصر العلم والتقنية - الذي فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته -فتنة كبيرة- وفي ظل هذا التقدم العلمي والتقني المذهل نبذ أغلب أهل الأرض الدين وراء ظهورهم، ونسوه وانكروا الخلق والخالق، كما انكروا البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك من الغيبيات، وعلى ذلك فلم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين الإسلامي الحنيف قدر إقناع الإعجاز العلمي في كتاب الله تعالى.

٣. إن الإسلام والمسلمين يتعرضان اليوم لهجوم شرس في جميع وسائل الإعلام بغير حق، والقائمون على تلك الوسائل من غلاة الغرب الذين ينكرون سماوية الإسلام، وربانية القران الكريم، ونبوة خاتم المرسلين، وأهم الوسائل وأفضلها للرد على هذا الهجوم هو إثبات الإعجاز العلمي لكتاب الله تعالى.

٤. إن في إثارة قضية الإعجاز العلمي للقران الكريم استنهاضا لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، وتشجيعًا بقضية العلوم والتقنية الَّتي تخلفت فيها الأمة تخلفا كبيرا[1].

ومع هذه المبررات لهذا الإعجاز، وأهميته، إلا أن موقف العلماء المعاصرين فيه متباين مختلف، فمنهم من يقبله ومنهم من يرفضه، ومنهم من يقبله بشروط. وحرصت في هذا البحث على بيان موقف العلاّمة الشيخ عبدالرحمن السعدي من هذا الأمر، وذلك لمكانته العلمية في هذا العصر، فكان موضوع هذا البحث (موقف الشيخ العلاّمة السعدي من الإعجاز العلمي من خلال كتابه الدلائل القرآنية)، سائلا الله المولى أن يوفق الباحث للوصول إلى حقيقة هذه الغاية والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص: ٩٥).

مشكلة البحث:

مع أهمية الإعجاز العلمي في عصرنا الحاضر، ومكانة الشيخ عبد الرحمن السعدي العلمية في عالمنا الإسلامي أليس من اللازم أن يكون له موقف ورأي معين تجاه النوع من الإعجاز.

حدود البحث: آراء ومواقف الشيخ عبد الرحمن السعدي تجاه الإعجاز العلمي من خلال كتابه الدلائل القرآنية.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة جمعت آراء ومواقف الشيخ عبد الرحمن السعدي تجاه الإعجاز العلمي من خلال كتابه الدلائل القرآنية.

أهداف البحث:

١. بيان موقف الشيخ السعدي من استخدام مصطلح الإعجاز العلمي، من خلال كتابه الدلائل القرآنية
٢. بيان آراء الشيخ عبد الرحمن السعدي وأقواله في الإعجاز العلمي من خلال كتابه الدلائل القرآنية.
٣. إثبات موقف الشيخ السعدي من الإعجاز العلمي من حيث القبول والرد.
٤. معرفة الضوابط التي وضعها الشيخ السعدي لقبول الإعجاز العلمي.

منهج البحث: سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

إجراءات البحث:

١- اقتصرت على جمع أقوال الشيخ عبد الرحمن السعدي تجاه الإعجاز العلمي وبيانها، من خلال كتابه الدلائل القرآنية، ومن بعض كتبه الأخرى عند الحاجة، مثل تيسير الكريم المنان، والقواعد الحسان وفتح الرحيم الملك العلام.
٢- يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة، وفيها: أهمية هذا البحث، ومشكلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، وأهدافه، ومنهجه.

التمهيد، وفيه:

- **التعريف الموجز بالشيخ العلاّمة عبدالرحمن السعدي.**
- **التعريف بمصطلحات البحث.**

المبحث الأول: العلاّمة السعدي، ومصطلح الإعجاز العلمي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استخدام الشيخ السعدي لمصطلح الإعجاز العلمي في كتابه الدلائل القرآنية.

المطلب الثاني: آراء الشيخ السعدي وأقواله حول الحقائق العلمية في كتابه الدلائل القرآنية

المبحث الثاني: موقف العلاّمة السعدي من الإعجاز العلمي من حيث القبول والرد.

الخاتمة، وفيها:

- نتائج البحث وأبرز التوصيات.
- فهرس المراجع.

التمهيد:

• التعريف الموجز بالشيخ العلاّمة عبدالرحمن السعدي.

اسمه ونسبه: هو الشيخ العلاّمة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم، ولد في مدينة عنيزة في الثاني عشر من شهر الله المحرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع للهجرة النبوية الشريفة.

طلبه للعلم: بدأ طلبه للعلم وعمره إحدى عشرة سنة بحفظ القرآن وأتقنه، ثم اشتغل في التعلم بين يدي علماء بلده ومن قدم بلده من العلماء، ومن أبرز شيوخه : الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه، والشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، حيث أخذ منه الفقه والعلوم العربية وغيرها، وأخذ الإجازة من الشيخ صالح بن عثمان القاضي - قاضي عنيزة - ومنه أخذ التوحيد والتفسير والفقه أصوله وفروعه وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه ولازمه ملازمة تامة حتى توفي، والشيخ محمد أمين الشنقيطي - نزيل الحجاز - حيث قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية، وغيرهما.

وتتلمذ على الشيخ السعدي عدد كبير من طلاب العلم ومن أشهرهم: الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله-، وهو الذي خلفه في التدريس والإمامة في الجامع الكبير في عنيزة، وتتلمذ عليه الشيخ عبد الله بن عقيل -رحمه الله- وغيره من طلاب العلم.

وعرف الشيخ السعدي بالاشتغال والانتفاع بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث حصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وكان حنبلي المذهب، ولكن بسبب

استنارته بكتب الشيخين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي.

مؤلفاته: وقد أتحف السعدي المكتبات الإسلامية بمؤلفات كثيرة أهمها:

- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، حيث رتبه على السؤال والجواب.
- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام.
- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن.
- توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية ابن القيم.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، أكمله في عام ١٣٤٤ هـ.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن.

وفاته: توفي في مدينة عنيزة في القصيم قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦ هـ، عن عمر ناهز ٦٩ عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنته[1].

(١) يراجع كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٣١٨)، وكتاب «الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، رسالة الماجستير للأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد».

التعريف بمصطلحات البحث:

أولا- الإعجاز لغة: مصدر أعجز يعجز إعجازا، ويعنى: الفوت، والسبق، يقال: أعجزت الرجل: وجدته عاجزا، وأعجزه الشيء، أي فاته[1] ولم يدركه، أعجزه الأمرُ: صَعُب عليه نيلُه، وأعجزه المرضُ عن الاستمرار في عمله: أي أقعده، وجعله غير قادرٍ على فعل شيء[2] ومنه العجز: وهو الضعف أو عدم القدرة[3]، والمعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهدًا على صدقه[4].

ثانيا- معنى العلمي: اسم منسوب إلى عِلْم[5]. الذي هو نقيض الجهل، والعلم: مرادف للمعرفة، وهو: إدراك الأشياء على حقائقها أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً[6]، والمقصود بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي.

ثالثا - مفهوم مصطلح الإعجاز العلمي: يمكن تعريفه بأنه: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث[7].

---

(١) الصحاح للجوهري مادة ع ج ز(٤/ ٢٢).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ع ج ز (٢/ ١٤٥٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٨٦).

(٤) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٢٥٧).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ع ل م (٢/ ١٥٤٤).

(٦) معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٤.).

(٧) دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: ٢٦٣).

رابعـا- معنـى الموقف: مفـرد، وجمعه مواقِفُ، وهو اسـم مكان مـن وقَفَ، ويعنـي: تهيُّؤ عقلـيّ لمعالجة تجربة أو أمر مـن الأمور تصحبه عـادة، ويأتي بمعنى القـرار، يقال فلان سـيِّد الموقف: أي صاحـب القرار، وفلان بـدّل موقفه: أي غيّر رأيـه، واتّخذ موقفًا من كـذا: أي ظلّ على موقفه وقـراره، وأظهَر النّوايا بخصوص مسألة ما: أي أوضح موقفه من المبادرة[1].

وقولنا (**موقف الشـيخ العلاّمة السـعدي من الإعجـاز العلمي**) من خلال هذه التعريفـات يعني: بيان قول الشـيخ السـعدي ورأيـه في ربط النصـوص القرآنية مع الحقائق العلمية لإثبات أن القرآن وحي من الله تعالى، وأن هذه العلوم كلها مذكورة في القرآن.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٨٥).

المبحث الأول: العلاّمة السعدي، ومصطلح الإعجاز العلمي،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- استخدام الشيخ السعدي لمصطلح الإعجاز العلمي في كتابه الدلائل القرآنية:

إن مصطلح الإعجاز العلمي مصطلح معاصر يقصد به: بذل الجهد واستفراغ الوسع لفهم الآيات المتعلق بالآفاق والأنفس من خلال إخبار القران الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- [1].

وقد بحث العلماء -قديما وحديثا- عن الآيات الكونية والنفسية وجمعوها ودرسوها ثم استنبطوا منها من الأحكام ما يدل على عظمة الله تعالى وقدرته، فمنهم من يطلق عليها هذا المصطلح، ومنهم من لم يطلقه عليها.

وقد تتبعت جميع أقوال الشيخ السعدي وآراءه في كتابه الدلائل القرآنية؛ لأعرف مسلكه فيه، فوجدته لم يستخدم قط عبارة الإعجاز العلمي -رحمه الله- [2]، وإنما جمع هذه الآيات الكونية والنفسية ودرسها واستنبط منها ما يدل على عظمة الله، وأنه واحده هو المستحق للعبادة، وأن جميع العلوم التي ظنت حداثتها ليست بحديثة، بل من العلوم التي جاء بها الدين الإسلامي، وحث على التفكر فيها واستعمال العقول في سبيل استخراجها، وسيتضح ذلك أكثر في المطلب الثاني، عند بيان آراء الشيخ وأقواله في الحقائق العلمية.

(١) ينظر الإعجاز العلمي في القران والسنة .(ص:١٠).

(٢) ويؤيد ذلك الباحث ناصر العبد سليم المرنخ في رسالته الماجستير التي بعنوان «منهج الشيخ السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، حيث صرح بأن الشيخ لم يصرح بمصطلح الإعجاز سواء التشريعي أو العلمي.

المطلب الثاني- آراء الشيخ السعدي وأقواله حول الحقائق العلمية في كتابه الدلائل القرآنية:

وقد قام الباحث ببيان آراء الشيخ السعدي في الحقائق العلمية وأقواله تجاهها في نقاط أهمها:

- **يرى الشيخ أن العلوم التجريبية والحقائق والمخترعات العلمية ليست بحديثة، بل من العلوم التي جاء بها الدين الإسلامي**، يقول في مقدمته للكتاب: «أما بعد/ فهذه رسالة تتضمن البراهين القواطع الدالة على أن الدين الإسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ورحمة وهداية، وصلاح وإصلاح مطلق لجميع الأحوال، وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة في ضمن علوم الدين، وأعماله ليست منافية لها، كما زعم الجاهلون والماديون، ولا جاءت الفنون العصرية النافعة بشيء جديد، كما ظنه الجاهلون أو المتجاهلون، بل النافع منها للدين والدنيا وللجماعات والأفراد داخل في الدين، والدين قد دل عليه وأرشد الخلق إليه وإلى كل أمر نافع إلى أن تقوم الساعة»[1].

وقد رد الشيخ على الملحدين في ظنهم أن الحقائق العلمية علم عصري جديد ليس للإسلام السبق إليها، ولم تكن داخلة في الدين، وقال: «يقول كثير من الناس هذا وقت العلم والمعارف والرقي، ومقصودهم بهذا الإعراض عن الماضي، وعن علوم الدين والتزهيد فيها، وقد صدقوا من جهة، وكذبوا من جهات أخر، قد صدقوا أنه وقت ترقت فيه علوم الصناعات والمخترعات، وما يرجع إلى الماديات والطبيعيات، وقد كذبوا أفظع الكذب حيث حصروا العلم بهذا النوع، ولم يعلموا أن العلم الحقيقي النافع هو العلم بما جاء به الكتاب والسنة، الكفيل بكل خير ديني ودنيوي

(١) الدلائل القرآنية (ص:٣).

وأخروي. والعلم النافع من علوم الصناعات والمخترعات داخل في ضمن هذا»[1].

ثم قال «وقد كذبوا أيضا في زعمهم أن العلوم العصرية والفنون الاختراعية النافعة هم الذين ابتدؤوها، وأن الشريعة الإسلامية لم تهد إليها ولم ترشد إلى أصولها. وهذا بهت عظيم ومكابرة يعرفها من له أدنى نظر في الدين الإسلامي، وكيف أصل للعباد أصولا عظيمة نافعة بها صلاح دنياهم كما أصل لهم أصولا نافعة فيها صلاح دينهم، وقد ذكرنا بعض النصوص من الكتاب والسنة الدالة على هذا الأصل كما سبقت الإشارة إليه»[2].

وجاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] «أي: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. وفي هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ﴾ [النحل:٨٩]»[3]. وفي تفسيره لقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ﴾ [النحل:٨٩]: «في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج

(١) الدلائل القرآنية (ص:٤٣).

(٢) الدلائل القرآنية (ص:٤٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥- ٢٥٦).

إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية»[1].

- **يرى بأن ما أثبته العلم الحديث بأنّ الرياح تلقح السحب السالبة بالموجبة فينزل المطر[2] مما قد بينه كتاب الله تعالى**، يقول الشيخ « قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم:٤٨] الآيات... ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢]... فهذه الآيات الكريمات وغيرها مما يشبهها إذا تأملها العبد، وعرف ما دلت عليه وما شملته من العلوم الشرعية والكونية وأعمالها، وعرف سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- الجارية مجرى التفسير لكتاب الله، وتأمل هديه في جميع شئون حياته، عرف أنه لا يشذ عن دين الإسلام مصلحة من المصالح ومنفعة وخير وصلاح وعرف إن القرآن تبيان لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وإن الأمور إذا بنيت عليه تمت مصلحتها، وكل أمر فقده فسد ونقص، والواقع يشهد بذلك»[3].

وهذا ما يقوله المتخصصون للإعجاز العلمي في هذه الآية ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[الروم:٤٨]: بأنها تحتوي من الحقائق ما تتعلق بتأثير الرياح في إنشاء السحب وتلقيحها وتشكيلها، ثم نزول المطر أو البرد منها، وأن هذه الحقائق من أعجب الأمور وأدقها التي توصل إليها العلم الحديث، فلو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الحقائق لكانت كافية في تعريفنا بأن منزل القرآن هو خالق السماوات والأرض[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٧).

(٢) ينظر علوم القرآن الكريم - نور الدين عتر (ص: ٢٦٦).

(٣) الدلائل القرآنية (ص:٣٠).

(٤) ينظر مباحث في إعجاز القرآن (ص: ١٩٥).

- **يرى الشيخ بأن العلوم الطبيعية والمخترعات النافعة مما حث الإسلام على التفكر فيها واستعمال العقول في سبيل استخراجها.** يقول: «أما شريعة الإسلام فإنها -ولله الحمد- جاءت بتنبيه العقول والحث على التفكر في الأمور التي ينفع التفكير فيها: كآيات الله المخلوقة وآياته المتلوة، وسلكت في تفكرها ونظرها المسالك الصحيحة فأقرت العلوم النافعة والمعارف الصادقة والحث على كل خلق جميل والحذر عن كل خلق رذيل،.... فإن الدين الإسلامي قد أمر بأصلين عظيمين لا تتم الأمور كلها إلا باجتماعهما، أحدهما : الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن الأمور كلها والأسباب مربوطة بالقضاء والقدر، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. الأصل الثاني: الأمر بالأعمال النافعة في الدين والدنيا، والبعد عن الأسباب الضارة»[٥].

ويقول «وثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز))[٦] وهذا شامل للحرص على الأمور النافعة في الدين والدنيا، فعلم أن دين الإسلام يكذب ما افتراه عليه أعداؤه من أنه مثبط مخدر، وإنما هو منشط وحاث على كل عمل نافع، .... فما من عمل نافع دقيق أو جليل إلا حث الشارع عليه وعلى وسائله ومكملاته، ولا عمل ضار وكسل وتقاعد إلا حذر عنه غاية التحذير ; ونصوص الشرع في هذا الأصل لا تعد ولا تحصى، ومن أنكر ذلك فهو مكابر مباهت وهو من أعظم الناس ضلالا»[٧].

ثم قال «فإن من أصول الشريعة الكبرى وجوب العمل بالأسباب النافعة

(٥) الدلائل القرآنية (ص:٣٦) .

(٦) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم (٢٦٦٤) من طريق ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة، به.

(٧) الدلائل القرآنية (ص:٣٧-٣٨) .

مقاصدها ووسائلها، والحث على كل عمل صالح ومصلحة، والاستعانة بالله في تحقيق ذلك مع بذل الجهد، ومن المعلوم أن من تحقق بهذين الأصلين بذل المجهود في كل أمر نافع والاستعانة بالمعبود فإنه لا يزال في تقدم ورقي مطرد في إصلاح الدين وفي إصلاح الدنيا المعينة على الدين كما قال -صلى الله عليه وسلم- ((احرص على ما ينفعك، واستعن بالله))[1] وكم في كتاب الله وسنة الرسول من الأمر بكل عمل نافع، والحث على التقدم الصحيح النافع للأفراد والجماعات والشعب والحكومات، وأما العلوم المادية الخالية من روح الدين ورحمته فإنها تقدم إلى الهلاك والدمار»[2].

وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]: «أي {وَأَعِدُّوا} لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير... ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان شيء

(١) صحيح مسلم كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله رقم (٢٦٦٤).

(٢) الدلائل القرآنية (ص:٤٠).

موجـود أكثر إرهابا منها، كالسـيارات البريـة والهوائية، المعدة للقتـال التي تكون النكاية فيها أشـد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب»[1]

- **يرى بأن الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث في حق مراحل تكوين الجنين في بطـن أمـه مما قد نبه عليها القرآن وحث على التفكـر فيها**، يقول «وقد نبه الله على البعث بالتفكر في أطوار الإنسان وتنقلاته فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ الحـج: ٥-٧] فجعـل الله تنقل الإنسـان في هـذه الأطوار وإحيـاءه الأرض بعد موتها دليلا وبرهانا على هذه الأمور الخمسـة التي يتميز بها المؤمنون ويثبتونها تصديقا لله ولرسله واستدلالا بهذه البراهين العقلية الحسية»[2].

وجـاء في تفسـيره لقولـه تعالـى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنـون: ١٢] إلى قوله تعالـى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنـون: ١٤]: «ذكر الله في هذه الآيات أطـوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه»[3]

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٤)

(٢) الدلائل القرآنية (ص: ١٠-١١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٨).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق:١٩] قال: «أي: أطوارا متعددة وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليدًا وطفلا ... فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته»[1].

وهذه الآيات من الآيات التي يربطها المتخصصون في الإعجاز العلمي بما يثبته العلم الحديث في خلق الإنسان من المراحل والأطوار التي يمر بها الجنين قبل أن تنفخ فيه الروح التي بها يصير الجسد إنسانا[2]، ويرى هؤلاء المتخصصون أن علم الأجنّة اليوم قد بدا واضحا لدى أهله، وأنّ أصوله قد قرّرها القرآن الكريم، ولم يعقّب عليه فيها، وإنّما اعتمدها الباحثون أساسا لتجاربهم وبحوثهم.[3]

- **يرى الشيخ بأن في القرآن الكريم آيات تدل على النظر في جوانب الإعجاز العلمي، وهي الآيات الأفقية الكونية والنفسية، وهذه الآيات كلها تحقق غرضًا واحدًا وهو تحقيق العبودية لله الحق وحده دون سواه.**

يقول الشيخ: «فالآيات الأفقية الكونية والآيات النفسية كلها تحقق هذه الأصول العظيمة ويعرف بها أن الله هو الحق، وقوله وكتابه ودينه حق، فالآيات الأفقية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران:١٩٠.] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] وآيات كثيرة يخبر فيها

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩١٧).

(٢) ينظر القرآن الكريم هيمنته وخاتميته وعالميته وخلوده (ص: ٥٣).

(٣) ينظر موسوعة علوم القرآن (ص: ٧) .

عن أحوال الكون، وأنه آيات وأدلة على وحدانية الله وصدقه، وصدق رسله، فالذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة بهذه الأوصاف البديعة، وعلى هذا النظام العجيب والخلق الكامل والإحكام والحسن، هو المتفرد بالربوبية والألوهية»[1]

ثم قال الشيخ في الآيات النفسية: «وأما الآيات النفسية فإن الله قال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [الذاريات: ٢١] ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [يس: ٧٧] ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦﴾ [الطارق: ٥، ٦]، ونحوها من الآيات التي ينبه الله فيها الإنسان على التأمل والنظر في ابتداء خلقه وتطوره، وكيف تنقلت به الأحوال من النطفة إلى أن صار إنسانًا كاملًا في بدنه وفي عقله، وكيف أحسن الله خلقه ونظمه هذا النظام العجيب فوضع فيه كل عضو يحتاج إليه في منافعه كلها، ووضع كل عضو في محله اللائق به، الذي لا يحسن ولا يليق أن يوضع إلا في محله.... ثم لينظر الإنسان ما وضع الله فيه من العقل، الذي يتميز به عن الحيوانات كلها، وهدى الله فيه الإنسان إلى هدايات دينية ودنيوية لا يمكن عدها ولا إحصاؤها، وكما هداه بالعقل إلى الانقياد لعلوم الرسل وأديانهم هداه به إلى تسخير المواد الكونية والمعادن والمخترعات والصناعات، التي لا تزال تتجدد كل وقت، وقد أخبر تعالى أنه سخر لنا جميع ما في السماوات والأرض، ننتفع بآياتها ونستخرج منافعها وكنوزها ونشكره على ذلك التسخير والهداية والنعم، التي لولا فضله وكرمه لم يحصل لنا منها شيء. ومن آياته الأفقية النفسية إخباره تعالى أنه سخر للإنسان جميع ما في السماوات والأرض ومعادن الكون وعناصره، ثم إخباره بأنه أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد وآلات العلم وعلمه ما لم يكن يعلم فحمل بهذا التسخير وبهذا التعليم - من فنون العلم

(١) الدلائل القرآنية (ص:٦).

وفنون المخترعات الباهرة - ما هو مشاهد معلوم، ترقت به الصناعات، وتوسعت به المخترعات، وتنوعت به المنافع وتقاربت به الأقطار الشاسعة، وتخاطب به أهل المشارق والمغارب.... فأراهم الله من آثار قدرته على يد هذا الآدمي ما دلهم على كمال قدرة خالقه ومعلمه وعلى وحدانيته وصدق رسله، وهو لا يزال يريهم آياته شيئا فشيئا في الآفاق وفي أنفسهم فانتفع بذلك الذين يريدون الحق واتباعه وقامت الحجة البالغة على المعاندين المكابرين»[1].

وجاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]: «أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده، وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية ... ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة»[2].

ومما نقله الشيخ محمد العثيمين عن شيخه السعدي مما يدل على الإعجاز العلمي قوله: «الآن يقولون إن الجو مملوء من أصوات الناس حتى حدثنا شيخنا عبد الرحمن بن سعدي- رحمه الله- المتوفى عام ١٣٧٦هـ أنهم الآن يحاولون أن يرجعوا كلام الناس المخزون في الجو حتى يُسْمَعَ، ويعني هذا: أنه يمكن أن يسمع كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين أصحابه، ولا تَسْتَغْرِبْ، فالآن الاتصالات بَيَّنَتْ لنا أشياءَ عظيمةً في هذا الكون، وفي أنَّ بين السمواتِ والأرضِ أشياءَ عجيبةً عجيبةً اقتضت أن يَجعلَ اللهُ ما بين السمواتِ والأرضِ قسيمًا للسَّمواتِ والأرضِ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ

(١) الدلائل القرآنية (ص:٧-٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٧).

بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان:٥٩]»[1].

ونقل الشيخ العثيمين عنه أيضًا: «شيخنا عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- دقيق في هذه المسائل، ولا يستوحش من المخترعات العصرية، بينما كان بعض الناس في وقته ينكرون أن تثبت الأهلة بالإذاعة أو بالبرقيات أو ما أشبه ذلك، ويقول بعضهم إن هذه البرقيات سحر أو شياطين تنقل الصوت، لكن الشيخ -رحمه الله- ليس على هذا، وكان الناس قبل أن تأتي الإذاعة، وقبل أن تأتي المدافع يمشون في بالأسواق ويرمون بالبنادق، فهذه وسائل لا يقال عنها بدعة كما اشتبه على بعض الناس فقالوا: هذه الوسيلة ليست موجودة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وقالوا: وسيلة حفظ العلم بالأشرطة ليست موجودة في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فهي إذن بدعة وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- ((كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) فتسجيلاتكم وأشرطتها كلها في النار؛ لأنها بدعة! هذا غير صحيح؛ لأن هذه وسيلة، أنا لم أتعبد لله بأني أضعها في المسجل وأجعلها عبادة، إنما هي وسيلة، كالأقلام من عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد كانوا يكتبون بالعيدان والقصب وما أشبهها، أما الآن فاختلفت الأحوال وكذلك الورق كان نادرا؛ فكانوا يكتبون على العظام والحصا واللحاف وما أشبهها»[2].

(١) شرح الكافية (٣/ ٧٧).

(٢) التعليق على القواعد الحسان (ص:٥١).

المبحث الثاني- موقف العلاّمة السعدي من الإعجاز العلمي من حيث القبول والرد:

من خلال جمع كلام الشيخ واستقرائه في هذا الكتاب، مقارنة مع آراء وأقوال المجيزين للإعجاز العلمي، تبين لي أن موقف الشيخ من هذا النوع من الإعجاز يتفق مع موقف المجيزين له بشروط، ومما يدل على ذلك:

- استدلال الشيخ ببعض الآيات التي استدل بها المؤيدون للإعجاز العلمي على ورود هذا النوع من الإعجاز في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت:٥٣]، ذكر الشيخ هذه الآية ثم قال: «فإنه تعالى لما أخبر بتوحيده وتفرده بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وأمر بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين له، وإن قوله حق ووعده ووعيده حق، ورسوله وكتابه حق، أخبر أنه لا بد أن يريهم من الآيات في أنفسهم وفي الآفاق ما يتبين لهم أنه الحق، وأن ما سواه باطل; فالآيات الأفقية الكونية والآيات النفسية كلها تحقق هذه الأصول العظيمة، ويعرف بها أن الله هو الحق، وقوله وكتابه ودينه حق»[1]. وقال أيضا «وهو لا يزال يريهم آياته شيئا فشيئا في الآفاق وفي أنفسهم فانتفع بذلك الذين يريدون الحق واتباعه وقامت الحجة البالغة على المعاندين المكابرين وصار علمهم وبالا عليهم إذ تكبروا به وامتلئوا غرورا باطلا، فالله الذي خلق الإنسان وأعده وأمده بكل وسيلة يدرك بها أنواع العلوم النافعة والفنون المتنوعة الدينية والدنيوية، وربط هذا بهذا فأمر بالقيام بالدين

(١) الدلائل القرآنية (ص:٥).

والاستعانة بهذه الوسائل على قيام الدين والدنيا»[1].

وجاء في تفسيره لهذه الآية ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٥٣]، «فإن قلتم أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم ويريكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، ... وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت:٥٣] أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق»[2].

وكلام الشيخ يشبه كلام المؤيدين للإعجاز العلمي في الاستدلال بهذه الآية وغيرها على احتواء القرآن على حقائق علمية، ونظريات طبيعية وفلكية، تثبت الأيام -بعد تقدّم العلم- صحتها وأسبقيتها[3]، وتبين للناس بأن الله هو الحق.

- قول الشيخ في مقدمة الكتاب بأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة يدخل في ضمن علوم الدين، وأنها ليست بجديدة بل هي مما جاء به الإسلام. قال: «أما بعد، فهذه رسالة تتضمن البراهين القواطع الدالة على أن الدين الإسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ورحمة وهداية، وصلاح وإصلاح مطلق لجميع الأحوال، وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة في ضمن علوم الدين، وأعماله ليست منافية لها، كما

(١) الدلائل القرآنية (ص: ٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٢)

(٣) ينظر الواضح في علوم القرآن (ص: ٢١).

زعم الجاهلون والماديون، ولا جاءت الفنون العصرية النافعة بشيء جديد، كما ظنه الجاهلون أو المتجاهلون، بل النافع منها للدين والدنيا وللجماعات والأفراد داخل في الدين، والدين قد دل عليه وأرشد الخلق إليه وإلى كل أمر نافع إلى أن تقوم الساعة »[1].

ويؤيده ما ذكره الشيخ في كتابه "القواعد الحسان" بأنه «مهما توسعت الاختراعات وعظمت الصناعات، وتبحرت المعارف الطبيعية، وظهر للناس في هذه الأوقات ما كانوا يجهلونه قبل ذلك، فإن القرآن - ولله الحمد - لا يخبر بإحالته، بل نجد بعض الآيات فيها إجمال أو إرشادات تدل عليه»[2].

وقال : « فجميع فنون الصناعات على كثرتها وتنوعها وتفوقها - لاسيما في هذه الأوقات - كل ذلك داخل في تسخيرها لنا، وقد عُرفت الحاجة بل الضرورة في هذه الأوقات إلى استنباط المنافع وترقية الصنائع إلى ما لا حد له، وقد ظهر في هذه الأوقات من موادها وعناصرها أمور فيها فوائد عظيمة للخلق، وقد تقدم لنا في قاعدة اللازم: أن ما لا تتم الأمور المطلوبة إلا به فهو مطلوب، وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة من الأمور المطلوبة شرعاً، كما هي مطلوبة لازمة عقلاً، وأنها من الجهاد في سبيل الله، ومن علوم القرآن»[3].

- في بيان الشيخ لمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] أنه يفيد الحث على إعداد كل من يغزى به العدو من المخترعات الحربية الحديثة من المدافع

(١) الدلائل القرآنية (ص: ٣) .

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ٣٥)

(٣) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ٧١)

والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية وغيرها» حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك. قال: «{وَأَعِدُّوا} لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. {مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير... ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب»[1].

- ذكر الشيخ في بيان قوله تعالى" ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨]. أن هذه الآية تشمل جميع المخترعات والمكتشفات من الحقائق العلمية الموجودة والتي تحدث إلى يوم القيامة، حيث قال: «وهذا شامل لخلق ما لا يعلمه العباد في تلك الأوقات الماضية، مما لم يشاهدوا له نظيرًا، فيدخل فيه جميع المخترعات التي حدثت والتي تحدث إلى يوم القيامة من المراكب البرية والبحرية والهوائية، وما خلقه وعلّمه

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٤)

الإنسان بواسطة الكيمياء والكهرباء من المخترعات المدهشة، ونقل الأصوات والأنوار من الأماكن الشاسعة في أسرع وقت. وهذا من الآيات والبراهين التي دل عليها القرآن، حيث لا يحدث حادث جليل أو حقير، كبير أو صغير، إلا وفي القرآن تصريح به، أو إدخاله في عموم أو مفهوم، وأنَّه لم يأت ولن يأتي علم صحيح ولا حادث حقيقي ينقض شيئًا من أدلة القرآن، فإنَّه تنزيل من حكيم محيط علمه بكل شيء، نفذت إرادته ومشيئته في كلِّ شيء»[1].

- اشتراط الشيخ في العلوم الكونية والفنون العصرية التي تدخل في عموم ما جاء بها الدين أن تكون صحيحة، ونافعة، أي أن تكون حقائق علمية ثابتة، لا فرضيات ولا نظريات قابلة للتغير، ولا ضارة تلحق الهلاك بالنشر، وقد أشار إلى هذين الشرطين بقوله: «وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة في ضمن علوم الدين»[2]، وبقوله: «بل النافع منها للدين والدنيا وللجماعات والأفراد داخل في الدين، والدين قد دل عليه وأرشد الخلق إليه وإلى كل أمر نافع إلى أن تقوم الساعة»[3].

وهذا مما يشير إليه المؤيدون للإعجاز العلمي بشروط، حيث اشترطوا أن تكون الحقائق العلمية ثابتة ثبوتا قاطعا قد تجاوزت مرحلة الفرض والنظرية إلى القانون العلمي[4].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام (ص: ٨٨).

(٢) الدلائل القرآنية (ص: ٣) .

(٣) الدلائل القرآنية (ص: ٣) .

(٤) ينظر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (ص:٣١) .

الخاتمة

ذكر نتائج البحث، وأبرز التوصيات:

أولا- نتائج هذا البحث: من خلال جمع أقوال الشيخ في هذا الكتاب واستقرائها توصل الباحث إلى نتائج أبرزها:

١- إن الشيخ السعدي -رحمه الله- لم يكن يستخدم مصطلح الإعجاز العلمي في كتابه، وإنما يعبر عنه بعبارات أخرى تدل على النظر في جوانب الإعجاز. مثل قوله: « أما بعد، فهذه رسالة تتضمن البراهين القواطع الدالة على أن الدين الإسلامي وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كل خير ورحمة وهداية وصلاح... وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلة في ضمن علوم الدين»[(١)]، ومثل قوله: «بل النافع منها للدين والدنيا وللجماعات والأفراد داخل في الدين، والدين قد دل عليه وأرشد الخلق إليه وإلى كل أمر نافع إلى أن تقوم الساعة»[(٢)]، وغيرها.

٢- وجود الاتفاق بين رأي الشيخ ورأي المجيزين للإعجاز العلمي بشروط في وجود آيات قرآنية تدل على النظر في جوانب الإعجاز العلمي وتحث عليه.

٣- إن العلوم التجريبية والحقائق والمخترعات العلمية قد أشار إليها القرآن وليست بحديثة، بل من العلوم التي جاء بها الدين الإسلامي.

٤- إن هذه الحقائق العلمية الثابتة والنافعة منها مما حث الإسلام على التفكر فيها واستعمال العقول في سبيل استخراجها.

٥- إن الآيات الكونية والنفسية في القرآن، القصد منها الحث على التفكر فيها،

(١) الدلائل القرآنية (ص: ٣).

(٢) الدلائل القرآنية (ص: ٣).

واستعمال العقول في سبيل استخراجها، من أجل الوصول إلى غاية واحدة عظيمة وهو: تحقيق العبودية لله الحق وحده دون سواه.

٦- يُشترط في العلوم الكونية والفنون العصرية التي تدخل في عموم ما جاء بها الدين أن تكون صحيحة، ونافعة، أي أن تكون حقائق علمية ثابتة، لا فرضيات ولا نظريات قابلة للتغير، ولا ضارة تلحق الهلاك بالنشر.

ثانيا- أبرز التوصيات: هناك جوانب يرى الباحث أن يوصي بها، تبين له من خلال جمع أقوال الشيخ السعدي واستقرائها، وأبرزها:

١- أن للشيخ عبد الرحمن السعدي مؤلفات كثيرة قد يتطرق فيها إلى الحقائق العلمية، ولعله يوجد من الباحثين من يجمع هذه المؤلفات، ويبين موقف الشيخ السعدي من هذا النوع من الإعجاز؛ في رسالة علمية متخصصة.

٢- هناك أنواع أخرى من الإعجاز مثل الإعجاز البياني، والإعجاز العددي، وغيرهما، لا يعرف موقف الشيخ منها، فيوصى بالبحث عنه؛ لمعرفة موقف الشيخ وآرائه تجاهه، إن أمكن ذلك.

٣- قامت مؤسسة وقف حصة بنت ناصر الراجحي بإطلاق تطبيق مؤلفات الشيخ السعدي، ويحوي جميع مؤلفاته، وعددها (٩٦) كتابا؛ فأوصي الباحثين بالاستفادة من هذه الموسوعة وفهرستها موضوعيا؛ لمعرفة ما اشتملت عليه من جوانب الإعجاز العلمي.

والله الموفق، وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث:

١. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية لمرحلة ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٢. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: تاريخه، وضوابطه، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز المصلح، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٣. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تأليف: نايف منير فارس، دار ابن حزم، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٦م.
٤. التعليق على القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية-العنيزة، ١٤٣٥هـ
٥. الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي. تأليف الشيخ عبد الرحمن السعدي، دار ابن الجوزي.
٦. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، رسالة الماجستير للأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، الناشر: مكتبة الرشد الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: محمد زكريا يوسف، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠م.
٨. القرآن الكريم هيمنته وخاتميته وعالميته وخلوده، تأليف أ. د. أحمد علي الإمام.
٩. القرآن وإعجازه العلمي، المؤلف: محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة.
١٠. القواعد الحسان لتفسير القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة:

الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١١. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢. الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا، وآخرون، الناشر: دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. دراسات في علوم القرآن الكريم، المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥. شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى لمؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية-العنيزة، ١٤٣٥هـ.

١٦. صحيح مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الثانية سنة ١٤١٩هـ.

١٨. علوم القرآن الكريم، تأليف: نور الدين محمد عتر الحلبي، الناشر: مطبعة الصباح - دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١٩. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، تأليف: الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة.

٢٠. مباحث في إعجاز القرآن، المؤلف: د مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم - دمشق،

الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢١. معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٢. معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي وآخرون، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٨, ١٤ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٣. منهج الشيخ السعدي في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" رسالة الماجستير للباحث/ ناصر العبد سليم المرنخ، بإشراف الدكتور عصام العبد زهد العام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٤. موسوعة علوم القرآن لعبد القادر محمد منصور، الناشر: دار القلم العربي - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.